محور في الفن والأدب: القيم الجمالية والإنسانية

شرح تربوي معمّق ومراجعة عملية لتلاميذ الباكالوريا في تونس

اللغة العربية | الشعب العلمية

تمهيد وأهداف التعلم

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، وقد أُعيد ترتيبه تربويًا ليساعد على الفهم والمراجعة. لا تُنسب الأمثلة التوضيحية الإضافية إلى مؤلف أو كتاب ما لم ترد إحالة واضحة إليها.

- فهم المفاهيم والأفكار المركزية في الدرس.
- التمييز بين الشرح والتحليل والتقويم بحسب طبيعة المادة.
- تحويل الفهم إلى إجابة منظمة قابلة للتطبيق في الاختبار.

شرح مادة الدرس

مدخل إلى محور الفن والأدب

لا يقتصر الفن والأدب على نقل الأخبار أو وصف الأشياء كما تبدو للعين، بل يتيحان لنا أن نتأمل التجربة الإنسانية وأن نعيد النظر في علاقتنا بأنفسنا وبالآخرين وبالعالم. فالقصيدة والقصة والمسرحية والصورة الفنية قد تنطلق من موضوع بسيط، لكنها تمنحه دلالة أوسع بفضل طريقة بنائه والتعبير عنه.

ومن هنا يجمع هذا المحور بين سؤالين متكاملين: ما الذي يجعل العمل جميلاً أو مؤثراً؟ وما القيم الإنسانية التي يعبّر عنها أو يدعو إلى التفكير فيها؟

في درس اللغة العربية، لا نتعامل مع العمل الأدبي باعتباره مجموعة أفكار منفصلة عن لغته، ولا مع اللغة باعتبارها زخرفة لا وظيفة لها. فالمعنى يتشكل من اختيار الألفاظ، وترتيب الصور، وإيقاع الجمل، ونبرة الخطاب، مثلما يتشكل من الموضوع والموقف. لذلك يحتاج فهم النص إلى ملاحظة ما يقوله وكيف يقوله، ثم الربط بين هذين المستويين. وقد يصف نصٌّ مشهداً مؤلماً بكلمات هادئة، فينشأ أثره من التباين بين بساطة العبارة وعمق التجربة، بينما يعتمد نص آخر على صور متلاحقة أو إيقاع متوتر ليجعل القارئ قريباً من الانفعال.

القيم الجمالية: كيف يصنع العمل أثره؟

القيمة الجمالية ليست حكماً سريعاً من قبيل «أعجبني النص» أو «لم يعجبني». إنما هي نتيجة تفاعل عناصر العمل وقدرتها على تنظيم التجربة وإيصالها إلى المتلقي. فقد تظهر في انسجام أجزاء النص، أو في دقة التعبير، أو في جدة الصورة، أو في مناسبة الإيقاع للموضوع. ولا يعني الانسجام أن يكون كل نص هادئاً ومتوازناً؛ فالتوتر والتقطّع والتكرار قد تكون اختيارات فنية مقصودة إذا ساعدت على تصوير الحيرة أو الخوف أو الصراع.

لنفترض أن كاتباً يريد التعبير عن شعور شخص بالوحدة. يمكنه أن يصرّح بأن الشخصية وحيدة، لكنه قد يختار بدلاً من ذلك وصف غرفة واسعة لا يسمع فيها سوى صوت الساعة. في الحالة الثانية لا يقدّم النص الفكرة مباشرة فحسب، بل يجعل القارئ يتخيل المشهد ويستنتج دلالته. وتنبع جمالية التعبير هنا من اختيار التفاصيل وقدرتها على الإيحاء. كذلك يمكن لتكرار كلمة أو بنية أن يلفت الانتباه إلى فكرة محورية، شريطة أن يؤدي وظيفة في بناء النص لا أن يكون تكراراً خالياً من الغرض.

ومن وسائل بناء الأثر الفني الصورةُ التي تقرّب معنى مجرداً من الحسّ، والإيقاع الذي ينظم حركة العبارة، والمقابلة التي تبرز اختلاف موقفين أو

حالتين. لكن لا يصح أن نعدّ وجود صورة أو محسّن لفظي دليلاً كافياً على نجاح النص. الأهم أن نسأل: ماذا أضاف هذا الاختيار إلى المعنى؟ وهل يلائم التجربة المعروضة؟ بهذا الفهم يصبح تحليل الأسلوب بحثاً في وظيفة العنصر الفني وصلته بما يريد النص إبرازه.

القيم الإنسانية: من التجربة الخاصة إلى الاهتمام بالآخر

يحمل العمل الأدبي تجربة قد تبدو فردية، لكنها تفتح مجالاً للتفكير في قضايا يشترك فيها الناس، مثل الكرامة والعدل والحرية والتضامن والأمل والخوف من الفقد. ولا ينبغي اختزال القيمة الإنسانية في وجود موعظة مباشرة أو عبارة تدعو إلى سلوك معيّن. فقد يثير النص التعاطف عبر تصوير أثر الظلم في حياة شخصية، أو يطرح سؤالاً أخلاقياً من خلال موقف تتعارض فيه المصلحة الفردية مع واجب تجاه الآخرين. وقد يترك للقارئ مجالاً للحكم، فلا يقدّم إجابة جاهزة.

وتتضح أهمية هذه القيم حين ننتبه إلى طريقة تمثيل الإنسان في النص. هل يظهر بوصفه صاحب تجربة وصوت، أم مجرد خلفية للأحداث؟ هل يمنح السرد القارئ فرصة لفهم دوافعه، أم يكتفي بإدانته؟ إن الإصغاء إلى أحوال الشخصيات يساعدنا على إدراك تعقيد المواقف، من غير أن يعني ذلك تبرير كل فعل. فالفهم يختلف عن الموافقة: يمكن للقارئ أن يتبين الظروف التي دفعت شخصية إلى قرار ما، ثم يناقش مسؤوليته ونتائج اختياره.

وللقيم الإنسانية صلة وثيقة بالقيم الجمالية؛ فاختيار شكل التعبير يؤثر في كيفية استقبالنا للفكرة. قد يجعل السرد الهادئ القارئ يتأمل آثار حدث على مهل، وقد ينقل الحوار اختلاف وجهات النظر بصورة مباشرة، فيما تكشف الصورة الشعرية عن جانب من تجربة يصعب شرحه بلغة تقريرية. لذلك لا نفصل بين «رسالة» العمل وبنائه الفني، بل ندرس كيف يخدم البناءُ المعنى، وكيف يمنح التعبيرُ القضيةَ حضوراً محسوساً.

طريقة مقاربة النص في شعبة العلوم

كون التلميذ يدرس في شعبة علمية لا يجعل الأدب بعيداً عن اهتماماته. فالتكوين العلمي يدرّبه على الملاحظة، والتمييز بين المعطى والاستنتاج، وربط العناصر بعضها ببعض؛ وهذه مهارات نافعة في قراءة النص. غير أن القراءة الأدبية لا تتحول إلى تجربة مخبرية، لأن أثر العمل يتصل باللغة والخيال والتاريخ الشخصي للقارئ أيضاً. المطلوب هو الجمع بين دقة الملاحظة والانفتاح على تعدد الدلالات، مع الاستناد دائماً إلى شواهد من النص لا إلى انطباعات عامة.

عملياً، يمكن البدء بتحديد الموضوع والموقف الذي يعبّر عنه المتكلم أو السارد، ثم ملاحظة الألفاظ والصور والإيقاع وطريقة بناء الجمل. بعد ذلك نربط هذه العناصر بأثرها: هل تجعل المشهد قريباً؟ هل تكشف تناقضاً؟ هل تنقل إحساساً بالاضطراب أو الاطمئنان؟ ثم نبحث في القيمة الإنسانية التي يثيرها العمل، ونوضح كيف ساهم شكله الفني في إبرازها. فإذا تناول نصٌّ تجربة الإقصاء، مثلاً، لا يكفي أن نقول إنه يدعو إلى التسامح؛ بل نبيّن كيف صوّر الإقصاء، وما الذي يكشفه عن كرامة الإنسان وعلاقته بجماعته.

وعند كتابة الإجابة، من المفيد تنظيم الأفكار في مراحل مترابطة: عرض الفكرة العامة، وتحليل اختيارات فنية محددة، ثم استخلاص دلالاتها الجمالية والإنسانية. وينبغي أن يكون كل حكم معلّلاً بملاحظة دقيقة، وأن نتجنب التعميم من قبيل «النص جميل» أو «يعالج قضايا مهمة» من دون تفسير. كما يستحسن استعمال لغة واضحة، ومصطلحات ملائمة، وجمل تبيّن العلاقة بين السبب والأثر. بهذا الأسلوب يصبح درس الفن والأدب تدريباً على قراءة الإنسان من خلال اللغة، وعلى تقدير الجمال بوصفه طريقة في بناء المعنى لا مجرد زينة شكلية.

المفردات والمصطلحات

المصطلح	دلالته في سياق الدرس
الإنية	حضور الذات لذاتها وتعيّنها، مع التنبيه إلى أن معناها يتغير بحسب التصور الفلسفي.
الغيرية	علاقة الاختلاف والانفتاح على الآخر، وليست مجرد نقيض سطحي للذات.
العلاقة البينذاتية	تفاعل الذوات داخل العالم والتاريخ واللغة والجسد.

منهجية الإجابة في الاختبار

1. حدّد نوع الدرس أولًا: نص، محور، عمل أدبي، أو منهجية تحليل.
2. قدّم الفكرة ثم أسندها إلى شاهد أو مثال من المادة المصدرية، وميّز بين الشرح اللغوي والتحليل الأدبي والرأي الشخصي.
3. نظّم الإجابة في مقدمة وجوهر وخاتمة، واجعل كل فقرة تجيب عن سؤال واضح.
4. راجع المصطلحات والروابط المنطقية، وتجنّب الأحكام العامة التي لا يسندها شاهد.

نموذج تطبيقي قصير

ابدأ من لفظ السؤال أو الفكرة المركزية، ثم اربطها بمحورين من مادة الدرس. أدرج شاهدًا من المصدر، واشرحه، وبعد ذلك قيّم النتيجة في ضوء حدودها وشروطها. هذا النموذج إجرائي، أما مضمون الإجابة فيتغير بحسب السؤال.

خلاصة المراجعة

قبل الاختبار، راجع عنوان الدرس وإشكاله أو موضوعه، ثم احفظ شبكة المفاهيم والعلاقات والشواهد. لا تكرر عبارات المصدر دون تفسير، ولا تضف قولًا إلى صاحبه من غير إحالة ظاهرة.

المصدر المعتمد: باك2.txt. الملفات المتاحة في المشروع نصوص مستخرجة وليست ملفات PDF مرقّمة؛ لذلك لم تُخترع أرقام صفحات. أي إحالة غير مقروءة في المصدر بقيت على حالها أو نُبّه إليها.

منصة التعليم التونسي · taalimtn.com · الدرس 15